مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

سياسة التعيين في وظائف(ديوان الإنشاء والكتابة) في سلطنة غرناطة (635-897هـ)

عبد ريحان نزال خلف [1] **عدنان محمود عبدالغني** [2]

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ / تكريت – العراق [1، 2]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/5/11

تاريخ المراجعة : 2025/6/12

تاريخ القبول : 2025/6/23

تاريخ النشر : 2026/7/25

الكلمات المفتاحية :

سياسة– التعيين– سلطنة– غرناطة– الإدارية

معلومات الاتصال

عبد ريحان نزال

Saadnnzz123@gmail.com

الملخص

شهدت سياسة التعيين في وظيفتي(ديوان الإنشاء والكتابة) في سلطنة غرناطة خلال العهد الإسلامي تطورًا ملحوظًا يعكس تفاعل الدولة مع التحديات السياسية والاجتماعية، اعتمدت هذه السياسة على معايير متعددة، أهمها الولاء للدولة، الكفاءة، والخلفية التعليمية والدينية، فضلا عن شروط لابد من توفرها ، وكانت هذه الوظائف الإدارية تُمنح غالبًا لأصحاب الحظوة لدى البلاط، وخاصة من الأسر الأندلسية العريقة أو الشخصيات ذات التأثير القبلي والعلمي، مع مراعاة التوازن بين مختلف الفئات الاجتماعية،إلا أن هذه الوظائف كانت تُشغل في كثير من الأحيان عبر الوراثة أو التوصية. وسعت الدولة إلى الحفاظ على استقرار الجهاز الإداري من خلال تعزيز مركزية السلطة ومراقبة تعيين الموظفين المحليين في الولايات والمدن

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

Appointment policy for positions in the Diwan of Creation and Writing in the Sultanate of Granada (635-897 AH)

Abd Rayhan Nazal Khalaf [1] **Adnan Mahmoud Abdul-Ghani** [2]

Tikrit University / College of Education for Humanities / Department of History / Tikrit - Iraq [1,2]

Article information

Received : 11/5/2025
Revised 12/6/2025
Accepted : 23/6/2025
Published 25/7/2026

Keywords:

Politics - Appointment - Sultanate - Granada – Administrative

Correspondence:
Abd Rayhan Nazal
Saadnnzz123@gmail.com

Abstract

The appointment policy for the two positions (Diwan al-Insha and Diwan al-Kitab) in the Sultanate of Granada during the Islamic era witnessed a remarkable development, reflecting the state's response to political and social challenges. This policy was based on several criteria, most notably loyalty to the state, competence, and educational and religious background, in addition to certain conditions that must be met. These administrative positions were often granted to those favored at court, particularly those from prominent Andalusian families or figures with tribal and scholarly influence. A balance was maintained between the various social classes, however, these positions were often filled through inheritance or recommendation. The state sought to maintain the stability of the administrative apparatus by strengthening the centralization of power and monitoring the appointment of local employees in the provinces and cities

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقدمة:

تُعد سياسة التعيين لديوان الإنشاء والكتابة في سلطنة غرناطة من الركائز الأساسية في نظم الإدارة العامة، إذ تمثل المرحلة الأولى في دورة حياة الموظف داخل المؤسسة، كما تُعد أداة رئيسية لضمان كفاءة الجهاز الإداري وجودته.

ويسعى هذا البحث إلى دراسة سياسة التعيين لديوان الإنشاء والكتابة في سلطنة غرناطة، من حيث المعايير والإجراءات المتبعة، والجهات المسؤولة عن التعيين، وأثر هذه السياسة في تحسين الأداء العام ورفع مستوى الخدمات المقدمة للمواطنين. كما يتناول البحث التحديات التي تواجه عملية التعيين في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية.

وأما مشكلة البحث فيعد موضوع سياسة التعيين لوظائف(ديوان الانشاء والكتابة) من المواضيع الحيوية التي تلامس جوهر الإدارة العامة، إلا أن دراسته في السياق المحلي لسلطنة غرناطة تواجه عدة تحديات، من أبرز هذه التحديات ندرة المصادر والمراجع المتخصصة التي تعرض على نحو مباشر سياسة التعيين في ديوان الإنشاء والكتابة المحلية، وغياب الدراسات الحديثة التي تربط بين السياسة المعتمدة وواقع الأداء الإداري. كما أن محدودية الشفافية في عرض البيانات الإدارية، وضعف التوثيق الرسمي للإجراءات التوظيفية، يشكلان عائقًا إضافيًا أمام الباحث لفهم الآليات المعتمدة بدقة.

كل ذلك يجعل من دراسة هذا الموضوع ضرورة ملحة، وفي الوقت نفسه تحديًا بحثيًا يتطلب جهدًا في جمع المعلومات وتحليل الواقع الميداني بشكل منهجي ودقيق.

أولاً: ديوان الإنشاء في سلطنة غرناطة

ذكر أن أول من دون الدواوين في الإسلام هو عمر بن الخطاب (ﷺ) (الجهشياري، 1988، صفحة 16)، وأن أول الدواوين في الإسلام هو ديوان الإنشاء, وقد تطور تطوراً كبيراً, وازداد الاهتمام به، لأن ((الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبدأ منه... الكاتب ينشىء لكل واقعة مقالا, وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدّم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمّها)) (القلقشندي، 1987، الصفحات 124-125),

وفي بلاد المغرب والأندلس لم يكن لديوان الإنشاء وجود ولا عناية لهم به, منذ الفتح حتى استولى الأمويون على الحكم في الأندلس(138هـ/756م), فاتخذوا ديوان الإنشاء, واستعملوا بلغاء الكتاب وبعد أن استقر الأمر لبني الأحمر(635هـ/1238م) رتبوا هذا الديوان, واعتنوا به, وأعطوه جل اهتمامهم (القلقشندي، 1987، الصفحات 128-129).

وكانت إدارة الديوان مستقلة تابعة للسطان ومركزها قصر الحمراء, وكانت مهمة الديوان إقامة الصلة بين السلطان والولاة والرعية والخارج, ودور كاتب السر في الديوان تأمين المراسلات الرسمية, مع الممالك النصرانية الشمالية من جهة ودويلات المغرب العربي من جهة أخرى (فرحات، 1993، صفحة 66).

لم يتبوأ هذا المنصب في عهد بني الأحمر إلا من يوثق بهم, حتى صار في بعض الأحيان يختص ببعض البيوت التي أثبتت إخلاصها وولاءها لبني الأحمر ,ولأهمية ديوان الإنشاء عند بني الأحمر جعلوا له ترتيباً خاصاً, ووزعوا الوظائف فيه, على نحو يخدم الغاية التي أنشئ من أجلها, وسوف نرسم صورة توضيحية للوظائف داخل الديوان, من الإشارات الواردة في الكتب التاريخية والأدبية وكتب التراجم على النحو الآتي:

أ- **صاحب الديوان:** هو الذي كان يتولى إدارة شؤون الكتابة الرسمية والمراسلات السلطانية في سلطنة غرناطة, وكانت ثمة شروط قاسية على من يتولى هذه الوظيفة, ومن يخل بالشروط يعزل عنها, كما حدث عندما عزل محمد بن العابد الأنصاري عن رئاسة الديون, لمعاقرته الخمر, في عهد السلطان محمد الفقيه, فأقامه في عداد كتابه, وعين بدلاً عنه الوزير أبا عبد الله بن الحكيم (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 181).

وكان صاحب الديوان مسؤولاً عما يرد إلى الديوان, وما يصدر عنه, ومراجعة ما يكتبه الكتبة بالتدقيق والتمحيص, كي تخرج الرسالة كاملة, خالية من سهو أو خطأ, قال لسان الدين ابن الخطيب: " وكان مما زيد في آخر الرسالة النبوية, فصل استفتاح الجزيرة الخضراء, صدر عني ملاء على الكتاب... وأغفل ذلك عن موضعه إلى أن أُلحق بهذا الموضع" (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 180).

وكان على صاحب الديوان الإشراف على تسطير الظهائر الملكية (وهي كالمرسوم الجمهوري في وقتنا الحاضر) الخاصة بالولايات, فضلاً عن كتابة البيعات للسلاطين عند توليتهم, لتتم بيعة السلطان على أساسها من قبل الفقهاء والعلماء, وقواد الجيش وكبار رجال الدولة والشعب, ويكون شاهداً عليها, حاضراً بين يدي السلطان عند أخذ البيعة له, ولسان الدين بن الخطيب كتب البيعة المنعقدة على السلطان محمد الخامس بعد وفاة أبيه أبي الحجاج, وأخذ عليها خط المبايعين للسلطان, قال: " وكتب الملأ المذكورون أسماءهم بخطوط أيديهم في هذا الكتاب, شاهد عليهم بما التزموه دنيا, وسلكوا سبيلاً مبيناً" (ابن الخطيب, اللمحة البدرية، 2009م).

ب- كاتب السر: هو المسؤول عن الكتابة الخاصة للسلطان, ويشرف على المراسلات الأكثر سرية واهمية, وتختلف هذه الوظيفة عن وظيفة صاحب الديوان ,بأن كاتب السر يكون قريباً جداً من السلطان , وأما صاحب الديوان فهو مدير المراسلات العامة في الدولة, ولم تكن هذه الوظيفة مستحدثة في سلطنة غرناطة , إذ إن

كتابة السر رتبة قديمة لها أصل في السنة النبوية, وهي متداولة في جميع الأقاليم الإسلامية, المشرقية والمغربية (المقري، نفح الطيب ، 1997، صفحة 168).

وكانت كتابة السر أعلى درجات الاختصاص, والرفعة, وتفضل على غيرها من الوظائف الكتابية والإدارية, ولا بد من توافر شروط في متوليها, كأن يكون جيد الخط, بليغاً, متحدثاً, قوي الحجة, ذا فكر ناقد وقريحة وقادة, قال المقري عن ابن الخطيب عن ابن زمرك حين تولى كتابة السر كان: " مضطلعاً بالخطة: خطاً، وإنشاء، ولسناً، ونقداً, فحسن منابه، واشتهر فضله، وظهرت مشاركته، وحسنت وساطته، ووسع الناس تخلقه، وامتد في ميدان النظم والنثر باعه (المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، 1939، صفحة 9).

وأهم شيء في كاتب السر هو الائتمان على أسرار السلطان, وعدم الإفراط بها أو البوح بأي سر من الأسرار, لا يطلع عليها أحد, كما عليه الاضطلاع بأمور السلطان كبيرها وصغيرها, وهو بذلك المستشار للسلطان وكان هناك كتاب يعملون في الديوان, (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001).

ج- صاحب العلامة: هي الإشارة أو العبارة او التوقيع بالمفهوم المعاصر التي يتخذها السلطان ليضعها على الرسالة, دلالة على صدورها عنه وبأمره, وقد اشتق بعض سلاطين غرناطة علامته مجانسة للقبه, فالغالب بالله أول السلاطين كتب علامته (لا غالب إلا الله), وبعد ذلك صارت شعاراً لهم (ارسلان، 1983، صفحة 104),وكانت تكتب بقلم غليظ, وكان الكاتب حين يكتب علامة السلطان, ولأهمية العلامة, فقد يقصرها السلطان على نفسه, ويكتبها بخط يديه, قال ابن زمرك:

يا إماماً قد تخذنا من الدهر ملاذا

خط يمناك ينادي صح هذا، صح هذا (المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، 1939، صفحة 135).

د- الخاتم: اتخذ المسلمون منذ عهد الرسول(ﷺ) الخاتم في الرسائل التي كانت ترسل إلى الأمم الأخرى, وكان ذلك سنة (6هـ/628م), إذ قيل للرسول(ﷺ) : إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا إذا كان مختوماً فاتخذ خاتماً, ونقش عليه (محمد رسول الله) (الصولي، 1340هـ، الصفحات 139-140).

وقد اتخذ بنو الأحمر في سلطنة غرناطة مجموعة من الكتاب لتولي مهمة ختم الرسائل, وتجهيزها, وإنفاذها لأصحابها, قال ابن خلدون عن الخاتم: " عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها" (ابن خلدون، 1989م، صفحة 429).

فضلا عن ذلك فقد كان في قصر الحمراء دار أو مكتب رسمي للترجمة إلى اللغات الأوربية وبخاصة الإسبانية, ففي معاهدة السلام التي عقدت بين محمد الخامس سلطان غرناطة وبدرو الرابع ملك أرجونة سنة(779هـ/1337م) ورد نص يقول انه: كتبت في نسختين بالعربي والأعجمي لتكون إحداهما عندنا والأخرى عندهم (العبادي، صفحة 233).

ثانياً: الكتابة

الكتابة لغة:

تأتي بمعنى " كتبت الشّيء أكتبه كتبا, رجل كَاتب وَالجمع كُتّاب وكَتَبَة وحرفته الكِتَابَة. قَالَ سِيبَوَيه: كتب كتابا كَمَا قَالُوا حجب حِجَابا وَقيل الكتاب الِاسم وَالكِتَابَة المصدر, (ابن سيده، صفحة 6).

الكتابة اصطلاحاً:

فهي مهنة تستعمل في التعبير عن الأفكار بالرموز المتعارف عليها في التدوين وإنشاء الرسائل، وعرفها القلقشندي بأنَّها: ((صناعة روحانية تظهر بآلةٍ ، جثمانيةٍ، دالة على المرادِ بتوسط نظمها ولم يبين مقاصد الحدّ ولا ما دخل فيه ولا ما خرج عنه)) (القلقشندي، 1987، صفحة 82).

- نشأة الكتابة في سلطنة غرناطة

كانت الكتابة ووظيفة الكاتب في سلطنة غرناطة (635-897هـ/1238-1492م) من الوظائف المرموقة, وقد مارس خطة الكتابة في ديوان الرسائل (الإنشاء) العديد من أهل العلم والفضل والآداب, وكانت هذه الخطة تسمى(الكتابة العليا) (الطوخي، صفحة 187), وهذا ما أشار إليه القلقشندي بقوله عن الكتابة في الأندلس: " وكان حال ديوان الإنشاء فيهم بحسب ما يكونون عليه من الحضارة والبداوة، فأوائل الدول القريبون عهدا بالبادية لا عناية لهم بكتابة الإنشاء، وإذا استحضرت الدولة صرفت اهتمامها إلى ديوان الإنشاء وترتيبه إلى أن استقرّ ما بقي من الأندلس بعد ما ارتجعته الفرنج منه بأيدي بني الأحمر، والغرب الأقصى بيد بني مرين. والغرب الأوسط بيد بني عبد الواد، وأفريقيّة بيد بقايا الموحدين من أتباع المهديّ بن تومرت، وداخلتهم الحضارة، فأخذوا في ترتيب دواوين الإنشاء بهذه الممالك، ومعاناة البلاغة في المكاتبات ونحوها, واستمرّ الحال على ذلك إلى زماننا)) (القلقشندي، 1987، الصفحات 128-129).

ونستدل من نص القلقشندي أن الكتابة لم تحضَ بالأهمية المطلوبة على أنها إحدى نظم إدارة الدولة, لما كانت تشهده الأندلس من تفرق واختلاف سياسي, قبل قيام سلطنة غرناطة, وعند قيام سلطنة غرناطة في القرن السابع الهجري, صارت الكتابة عندهم صناعة كغيرها من الصناعات.

وقيل عنه الكتّاب: " ان كاتب الرسائل له حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس، وأشرف أسمائه الكاتب، وبهذه السّمة يخططه من يعظمه في رسالة. وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السّمة، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة " (المقري، نفح الطيب ، 1997، صفحة 217).

إن نظام الكتابة ووظيفة الكاتب كانت منذ عهد السلطان محمد الأول الغالب بالله (635-671هـ/1238-1272م), وكان اختيار الكتاب من بين الرجال الذين تتوفر فيهم صفات خاصة, واستمرت أهمية هذه الوظيفة على هذا النحو طيلة أيام سلطنة غرناطة (الطوخي، صفحة 187).

- شروط تعيين واختيار الكتّاب

لا بد أن تتوفر فيمن يروم اللحاق بديوان الرسائل والكتابة شروط تؤهله لذلك, سواء أكانت معرفية أم شخصية منها:

أ- **الإسلام:** هو من أهمِ الشروط التي يجب توافرها في الكاتب , لأن الكتابة سر وأمانة, لذا لم يتخذ النبي (ﷺ) كاتباً غير المسلم قط ولا الخلفاء الراشدون من بعدهِ (القلقشندي، 1987، صفحة 93).

فلا يجوز أن يولّى أحد من غير المسلمين هذه الوظيفة, وذلك لاطلاعه على أمور الدولة وخفايا السلطان وأسرار السلطنة, ، لذلك من غير الممكن تعيين غير المسلمين فيها , حتى لايكون مطلعا لهم على خفاياهم فيصلون به إلى ما لا يمكن استدراكه (القلقشندي، 1987، صفحة 93).

وقد شدد الصيرفي في اختيارِ الكاتب , علىٰ أن يكونَ الكاتب مُسْلِماً دَيّناً ملتزماً لا يتحَرّج عن كتمانِ شيء في عملهِ، أو زيادة فيه، إذ قال : " يجب أن يكونَ دينه الإسلام لأنه من الملكِ بمنزلة الوزير" (الصيرفي، 2017م، صفحة 8).

ب- الذكورة: هي من الشروطِ العامة الأخرى للكاتب، لذا يتفق الفقهاء على أن المرأةَ لم تحل محل الرجل بالكتابة، وأن الخلفاءَ الراشدين تحاشوا تولية المرأة لهذه المهمة, وقد: " روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) قال في حقِ النساء: جنبوهنَّ الكتابة" (القلقشندي، 1987، صفحة 96).

ج- التمكن من اللغة العربية والخط: من الشروط الواجبة في الكاتب تمكنه من اللغة العربية وأن يكون حسن الخط, كما في قول ابن خلدون: " ثم أجيدوا الخط, فإنه حلية كتبكم, وارووا الأشعار , واعرفوا غريبها ومعانيها, وأيام العرب والعجم, وأحاديثها, سيرها, فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم, ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج" (ابن خلدون، 1989م، صفحة 432).

وقد اهتم سلاطين بنو الأحمر بالخط اهتماماً كبيراً, وكان حسنه أحد الشروط التي يجب على الكاتب امتلاكها, إن أراد الدخول في مضمار الكتابة السلطانية, وقد قيل في أحمد بن فركون: "وسبق أهل زمانه في حسن الخط سبقا أفرده بالغاية القصوى, فيراعه اليوم المشار إليه بالظّرف والإتقان، والحوا، والإسراح, اقتضى ذلك كله ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية" (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 93).

د- **الحرية:** من شروط الكاتب أن يكون حراً, لما في العبد من النقص, ولا يوثق فيه في كل الأحوال, ولذلك يجب أن يكون كاتب السلطان حراً, ويجب أن يكون معروف النسب, أصيلاً في قومه رفيعاً في حيه (القلقشندي، 1987، صفحة 97).

هـ- العدالة والتواضع والعفة: إن العدالة والتواضع مع الناس وعدم التعالي من الشروط الواجب على كاتب السلطان أن يحملها, مع عفة النفس, كما في قول ابن خلدون: " وإياكم والكبر والسخف والعظمة, فإنها عداوة مجبلة من غير إحنة, وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم" (ابن خلدون، 1989م، صفحة 433).

وسنوجز أبرز وأشهر من تولى وظيفة ديوان الإنشاء والكتابة في سلطنة غرناطة:

أولاً: أبو عبد الله بن الحكيم:

قدم ابن الحكيم على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد الفقيه (672-701هـ/1273-1302م)، إثر عودته من الحج في رحلته التي رافق فيها العلّامة أبا عبد الله بن رشيد الفهري، فألحقه السلطان بكتّابه، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء، إلى أن توفي هذا السلطان، وتقلّد الملك بعده وليّ عهده أبو عبد الله المخلوع (701-708هـ/1302-1309م)، فقلّده الوزارة والكتابة ولذلك لقب ب: (ذي الوزارتين) (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 310).

ثانياً: أبو الحسن بن الجياب:

نشأ ابن الجياب في ظل دولة بني الأحمر, وقد اتصل بخدمتهم مذ كان شاباً يافعاً, قال لسان الدين ابن الخطيب: "كتب عن الدول النصرية نحوا من خمسين سنة أو ما ينيف عليها، متين الجاه، رفيع المكانة، بعيد الصيت" (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 100), خدم أثناءها ستة من سلاطينها ,وتدرج ابن الجياب في هذه المدة, حتى نال رئاسة الكتاب, وبعد ذلك تقلد الوزارة, فلقب ب: (ذي الوزارتين), ولقب أيضاً ب: (صاحب القلم الأعلى) لكاتب العلامة السلطان النصري, وقد عمل ابن الجياب في ديوان الإنشاء في عهد السلطان محمد الفقيه (672-701هـ/1273-1302م), تحت رئاسة أبي عبد الله بن الحكيم

(ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 315), واستمر في الكتابة في عهد السلطان محمد الثالث المخلوع (701–708هـ/1302–1309م) (ابن الخطيب, اللمحة البدرية، 2009م، صفحة 100).

ثم كتب عن السلطان نصر بن محمد أبي الجيوش (708–713هـ/1309–1314م) وبقي وحده إلى آخر مدته, وفي عهده خلف رئاسة الكتاب من ابي عبدالله بن الحكيم (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 255), ثم كتب عن السلطان أبي الوليد إسماعيل الأول (713–725/1314–1325م) (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 202), ثم واصل الكتابة وحيداً إلى آخر مدته, في عهد السلطان أبي عبد الله محمد الرابع (725–733هـ/1325–1333م) (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 202), ومن ثم كتب حتى وفاته للسلطان أبي الحجاج يوسف الأول (733–755هـ/1333–1354م), الذي قلده الوزارة فضلاً عن رئاسة الكتابة, قال ابن الخطيب نقلاً عن ابن الجياب: "وقلدني كتابة سره, مثناة بمزيد قربه, مضفرة برسم الوزارة" (ابن الخطيب, اللمحة البدرية، 2009م، صفحة 129).

ثالثاً: لسان الدين بن الخطيب:

كانت بدايته السياسية في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج (733–755هـ/1333–1354م)، سابع ملوك بني الأحمر, وتأثَّر بالأفق السلطاني الذي عاش أبوه في كنفه، وتطلَّع إلى سير العمل في ظلِّه، وعند موت أبيه سنحت له الفرصة المنشودة ، ودُعِي للخدمة بدلاً من أبيه، وكان آنذاك شاباً في الثامنة والعشرين من عمره, فاشتغل في ديوان الإنشاء يترأسه شيخه الكاتب والشاعر ابن الجياب، وكان ابن الجياب متولياً رئاسة ديوان الإنشاء، ولمَّا أُصيب ابن الجياب بالطاعون وتوفي سنة (749 هـ/ 1348م) أعقبه ابن الخطيب في رئاسة الكتابة وثناها بالوزارة، ولقب بهما (ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة، 2001، صفحة 377).

وكان كبير الوزراء آنذاك هو الحاجب أبو النعيم بن رضوان، وهنا لمع نجم ابن الخطيب، وعَظُمت مكانته وأغدق عليه السلطان عطفه ومنحه ثقته، وسماه كاتب سرِّه ولسانه في المكاتبات السلطانية ، وصدرت منها بقلمه مجموعة من أروع الرسائل الملوكية التي يصفها ابن خلدون بـ(الغرائب) لروعتها (ابن خلدون، 1989م، صفحة 441).

رابعاً: أبو عبد الله بن زمرك:

أدى ابن زمرك دوراً سياسياً بارزاً في مملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري الحافل بالتطور الحضاري والفكري والعلمي, وقد ذكر المقري عن فترة خدمته قائلاً: ((خدمته سبعاً وثلاثين سنة، ثلاث بالمغرب، وباقيها بالأندلس)) (المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، 1939، صفحة 16).

وكان لتكوينه الثقافي ومشاركته الفاعلة في ديوان شيخه ابن الخطيب دور بارز عندما عينه كاتباً في الديوان في عهد السلطان يوسف الأول(733-755هـ/1333-1354م) في سنة (749هـ/1349م), وكان شاباً يافعاً لم يتجاوز عمره السابعة عشرة, تدرج في سلّم الوظائف الديوانية, وقد استطاع ابن زمرك كسب ود السلطان الغني بالله المخلوع, وهذا ما تجلى بعد عودة السلطان ومن معه من محنتهم من المغرب العربي, إذ ظفر ابن زمرك بوظيفة كاتب السر عند السلطان الغني بالله سنة (763هـ/1362م), ومنها ارتقى إلى الخطط السلطانية وإلى الرسالة بعد أن فوض له السلطان السفارة وعقد المعاهدات مع الدول والملوك في المغرب العربي والممالك الإسبانية وعقد الصلح تسع مرات, ثم ارتقى بعد ذلك إلى الوزارة بدلاً من شيخه ابن الخطيب سنة (773هـ/1372م), بعد أن فسدت علاقة ابن الخطيب بالسلطان الغني بالله وهرب إلى المغرب, ومن أهم أبرز سفارات ابن زمرك سفارته إلى المغرب الى بلاط فاس سنة (776هـ/1375م) لمحاكمة شيخه ابن الخطيب والاقتصاص منه, بعد أن هرب الى المغرب (ابن خلدون، 1989م، الصفحات 444-445).

خامساً: أبو يحيى ابن عاصم الغرناطي:

مارس ابن عاصم دوراً سياسياً نظراً لتوليه مناصبَ سياسيةً وإدارية في آن واحد, وذكر التنبتكي أنه تولى اثنتي عشرة خطة في آن واحد منها القضاء والوزارة والكتابة والخطابة, لمهارته في العلوم والفنون وتضلعه بالحفظ والتحقيق, ومن أهم الخطط الوزارة والخطابة والكتابة والقضاء, في عهد السلطان محمد السابع الأسير (820-858هـ/1417-1454م), وفي سنة (835هـ/1433م) كان كاتباً للسر, وفي سنة (838هـ/1435م) ولي قضاء الجماعة, وقال المقري عن توليه هذه الخطة: " إلى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفقه الأصعد، وبوأه عزيز ذلك المقعد، فشرف الخطة، وأخذ على الأيدي المشتطة، لا يراقب إلا ربه، ولا يضمر إلا العدل وحبه" (المقري، نفح الطيب ، 1997، صفحة 159).

الخاتمة

لقد شكّلت سياسة التعيين في ديوان الإنشاء والكتابة في سلطنة غرناطة إحدى الدعائم الجوهرية لاستقرار الجهاز الإداري وصياغة الخطاب السياسي والثقافي للدولة. إذ لم تكن هذه السياسة مبنية فقط على الكفاءة اللغوية والقدرة البلاغية، بل كانت ترتكز أيضًا على عناصر الولاء السياسي، والانتماء الثقافي، والحنكة في إدارة الشؤون الدبلوماسية.

فقد حرص السلاطين النصريون على اختيار أصحاب الأقلام من بين النخبة المثقفة والمتضلعة في علوم العربية، ممن يُشهد لهم بالفصاحة، وحسن التعبير، والمعرفة بأعراف الكتابة السلطانية، بل وتاريخها. كما اتسمت التعيينات أحيانًا بطابع سياسي، حيث ارتبط المنصب بثقة السلطان الشخصية وتقديره لحسّ الكاتب الأمني والسياسي، لا سيّما في ظل الاضطرابات الداخلية والخطر المسيحي المتزايد.

ويبدو أنَّ وظيفة الكتابة كانت جزءاً من مؤسسة ديوان الإنشاء في سلطنة غرناطة الذي كان يعد بمثابة مؤسسة عامة يضم تحت لوائه الوظائف الكتابية المختلفة في السلطنة.

قائمة المصادر والمراجع :

- القلقشندي، ابن سيده. (بلا تاريخ). المخصص.
- ابو العباس احمد بن علي القلقشندي. (1987). صبح الاعشا في صناعة الانشا. دمشق: دار الفكر.
- ابو العباس شهاب الدين احمد المقري. (1939). ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض. القاهرة: لجنة التعريف والترجمة.
- ابو العباس شهاب الدين احمد المقري. (1997). نفح الطيب . بيروت: دار صادر.
- ابو بكر محمد بن يحيى الصولي. (1340هـ). ادب الكتاب. بغداد: المكتبة العربية.
- ابو زيد عبدالرحمن، ابن خلدون. (1989م). العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر. بيروت: دار الفكر.
- ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري. (1988). الوزراء والكتاب. دار الفكر الحديث.
- ابي يحيى محمد ابن عاصم. (1989م). جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى. عمان: دار البشير للطباعة والنشر.
- احمد محمد الطوخي. (بلا تاريخ). مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر.
- احمد مختار العبادي. (بلا تاريخ). دراسات في تاريخ المغرب والاندلس. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- شكيب ارسلان. (1983). خلاصة تاريخ الاندلس. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- علي بن منجب الصيرفي. (2017م). قانون ديوان الرسائل. مصر: مطبعة الواعظ.
- لسان الدين محمد ابن ابن الخطيب. (2001). الاحاطة في اخبار غرناطة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- لسان الدين محمد بن محمد، ابن الخطيب. (2009م). اللمحة البدرية في الدولة النصرية. بيروت: دار المدار الاسلامية.
- يوسف شكري فرحات. (1993). غرناطة في ظل بني الاحمر. بيروت: دار الجيل.

Bibliography of Arabic References (Translated toEnglish)

- Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Ali (d. 821 AH/1418 CE). Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha, edited by Yusuf Ali al-Tawil, 1st ed., Damascus, Dar al-Fikr, 1987.
- Al-Maqri, Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad (d. 1041 AH/1632 CE), Azhar al-Riyadh fi Akhbar al-Qadi Ayyad, edited by Mustafa al-Saqa and others, Cairo, Introduction and Translation Committee, 1939.
- Al-Maqri, Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad (d. 1041 AH/1632 CE), Nafh al-Tayyib min Ghusn al-Andalus al-Ratib wa Dhikr wa-Wazir Lisan al-Din ibn al-Khatib, edited by Ihsan Abbas, 1st ed., Beirut, Dar Sadir, 1997.
- Al-Suli, Abu Bakr Muhammad ibn Yahya, Adab al-Kitab, edited by Muhammad Bahjat al-Athari, Baghdad, Arab Library, 1340 AH.
- Ibn Khaldun, Abu Zayd Abd al-Rahman (d. 808 AH/1405 AD), Al-Ibar wa Diwan al-Mubtada wa al-Khabar fi Ayyam al-Arab wa al-Ajam wa al-Barbar wa man `Asarahum min Dhat al-Sultan al-Akb, edited by Khalil Shahada, 2nd ed., Beirut, Dar al-Fikr, 1989.
- Al-Jahshiyari, Abu Abdullah Muhammad ibn `Abdus, Ministers and Writers. Dar al-Fikr al-Hadith.
- Ibn `Asim, Abu Yahya Muhammad, The Garden of Contentment in Submitting to What God Has Decided and Predestined, Amman, Dar al-Basheer for Printing and Publishing, 1989.
- Al-`Abbadi, Ahmad Mukhtar, Studies in the History of Morocco and Andalusia, Alexandria, Shabab al-Jami`a Foundation.
- Arslan, Shakib, Khulasat Tarikh al-Andalus, Beirut, Dar Maktabat al-Hayat, 1983.
- Al-Sayrafi, Ali ibn Munjib, The Law of the Bureau of Letters, Egypt, Al-Wa`iz Press, 2017. - Ibn al-Khatib, Lisan al-Din Muhammad (d. 776 AH/1375 AD), Al-Ihata fi Akhbar Granada, edited by Youssef Ali al-Tawil, 1st ed., Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2001.
- Ibn al-Khatib, Lisan al-Din Muhammad, Al-Lamhah al-Badriyyah fi al-Dawla al-Nasrid, 1st ed., Beirut, Dar al-Madar al-Islamiyyah, 2009.
- Farhat, Youssef Shukri, Granada in the Shadow of the Banu al-Ahmar, 1st ed., Beirut, Dar al-Jeel, 1993.